ألف حكاية وحكاية (٧٠)

معركة الديوك الثلاثة

وحكايات أخرى

يرويها

يعقوب الشارونى



رسوم

عبد الرحمن بكر

مكتبة مصر

رقم الإيداع ٢٢٠٣ / ٩٩

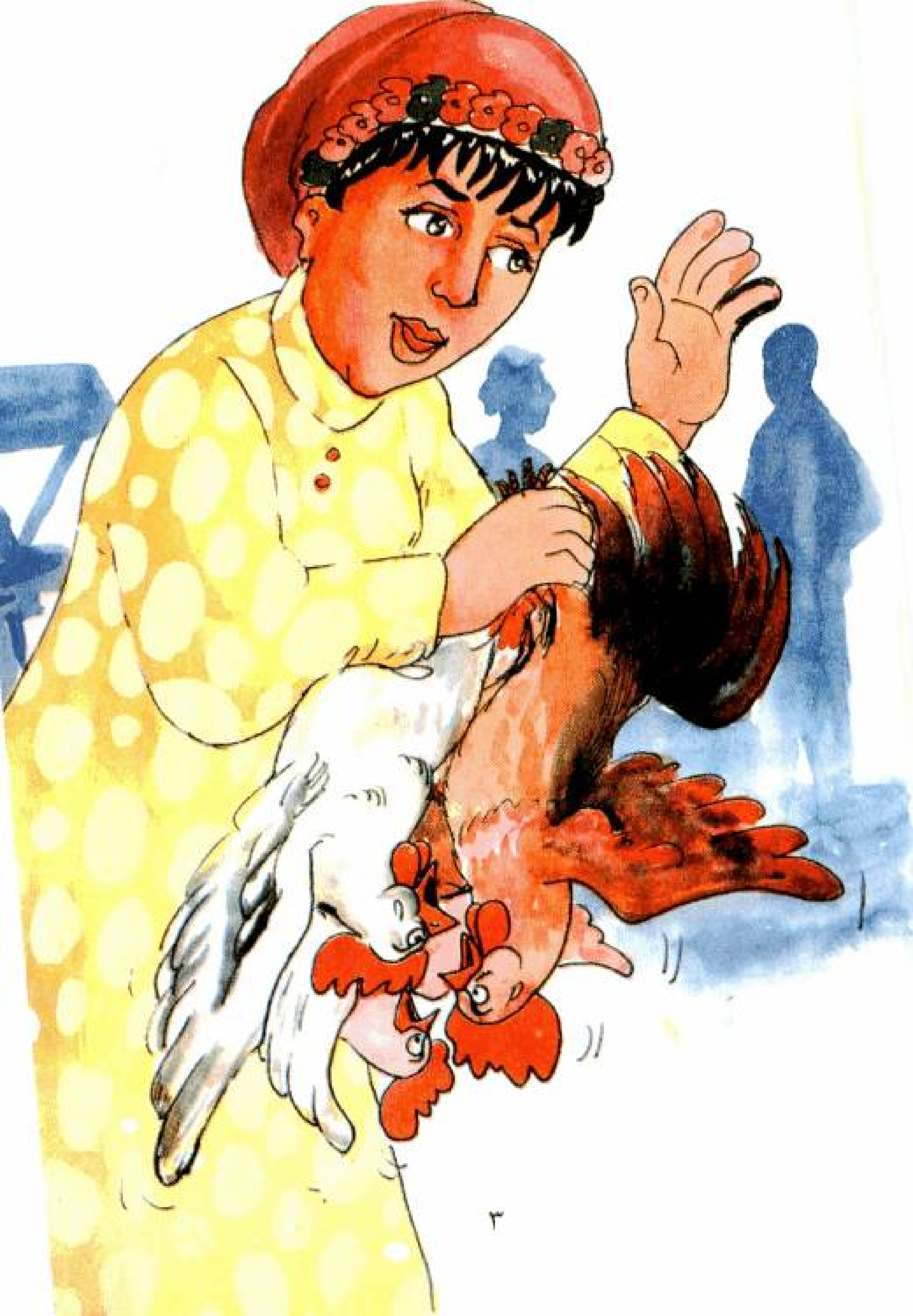
معركة الديوك الثلاثة

كانَتِ الستُّ أمُّ حسين تحملُ ثلاثةَ ديوكٍ، وهي تسيرُ في طريقِها من القريةِ إلى السوقِ ، وقد قرَّرَتْ أن تبيعَ الديوكَ الثلاثةَ لتدفعَ لابنِها وابنتِها الجنيهاتِ التي طلبَتْها المُدرِّسَةُ منهما . وكانَتْ قد ربطَتِ الديوكَ معها ، وأمسكَتْ بها من أرجلِها .

ومن وَقْتٍ إلى آخرَ ، كانَتِ الديوكُ تتلوَّى وتُرفرِفُ بقُوَّةٍ ، فكانَتِ الستُّ أمُّ حسين تهزُّها هزَّاتٍ عنيفةً لِتُسكِتَها وتوقِفَ حركاتِها المُتمرِّدةَ .

ومعَ كلِّ هزَّةٍ ، كانَتْ رؤوسُ الديوكِ الصغيرةِ تصطدمُ بقوةٍ بعضُها ببعضٍ . ولمَّا كانَتْ تلك الديوكُ غيرَ قادرةٍ على اكتشافِ سرِّ هذا العنفِ الذي تتعرَّضُ له ، فقد شعرَ كلُّ ديكٍ منها بالغضبِ من الديكَيْنِ الآخرَيْنِ ، وراحَ كلُّ واحدٍ يلومُ الآخرَ بسببِ ما يُصيبُهُ ، فاندفعَتْ تنقرُ بعضُها بعضًا بقسوةٍ كلما استطاعَتْ ، وفي أيِّ مكانٍ تصلُ إليه مناقيرُها .

ولاحظَ رجلٌ حكيمٌ هذه المعركةَ الحاميةَ ، فهمسَ لنفسِهِ: "مسكينةٌ هذه الديوكُ قليلةُ العقلِ .. إنها تشتركُ معًا في نفسِ المحنةِ ، ومع ذلك تقضي الوَقْتَ في الشجارِ والعراكِ ، وبذلك تُصبحُ معاناتُها أسوأَ وآلامُها أقسى ، بدلاً من البحثِ عن وسيلةٍ تُساعِدُ بها أنفسَها ، وتجعلُ الأمورَ أفضلَ بالنسبةِ إليها ."



صَيْحَةُ المُنقِذِ المجهول

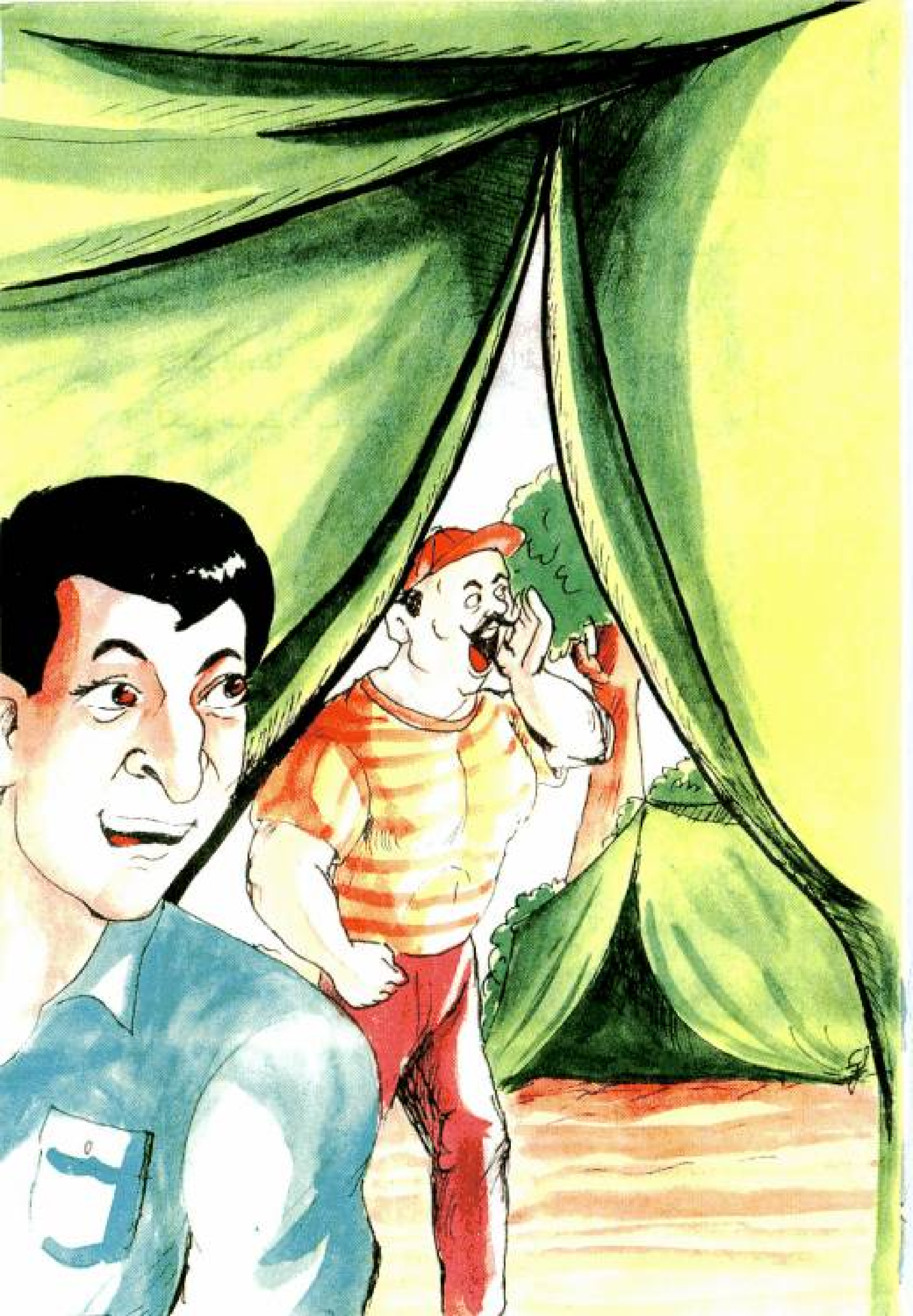
عندَما كنْتُ فى المدرسةِ الثانويةِ ، اشتركتْ فى أحدِ المُعسكَراتِ الصيفيةِ على شاطئِ البحرِ . واتفقَ معَنا قائدُ المُعسكَرِ ، على أن يحرمَ من الذهابِ إلى البحرِ ، كلَّ مَنْ يظلُّ فى فراشِهِ بعدَ سماعِ نفيرِ الاستيقاظِ . وكان نائبُ القائدِ مُدرِّسَ تربيةٍ بدنيةٍ شديدَ الحزمِ ، اسمُهُ "عبدُ الغفَّارِ" يتولَّى التفتيشَ على الخيامِ كلَّ صباحٍ .

ولحسنِ الحظِّ ، كُنَّا نتلقَّى إنذارًا فى الوقتِ المُناسِبِ . فقد كُنَّا نسمعُ صيحةً مُرتفِعةً من شخصٍ مجهولٍ يقولُ : "عبدُ الغفَّارِ قادمٌ."

وبعدَ لحظاتٍ يصلُ عبدُ الغفَّارِ ، ويرفعُ بابَ الخيمةِ ، فيجدُنا جميعًا بعيدًا عن الفراشِ .

وأخيرًا عرفْتُ لغزَ الصَّوتِ المجهولِ . فقد استيقظْتُ ذاتَ يومٍ قبلَ أن يُدوِّيَ نفيرُ الصباحِ ، وذهبْتُ إلى خيمةِ الطعامِ الكبيرةِ ، وجلسْتُ فى أحدِ أركانِها ، فسمعْتُ صيحةَ المُنقِذِ المجهولِ يقولُ كالعادةِ : "عبدُ الغفَّارِ قادمٌ ."

وتطلَّعْتُ بعينى ، فشاهدْتُ صاحبَ الصَّوْتِ . كانَ هو عبدَ الغفَّارِ نفسَهُ مُدرِّسَ التربيةِ البدنيةِ ، الذى تمهَّلَ قليلاً ، ثم واصلَ سَيْرَهُ فى حزمٍ ، لِيُفتِّشَ الخيامَ !!

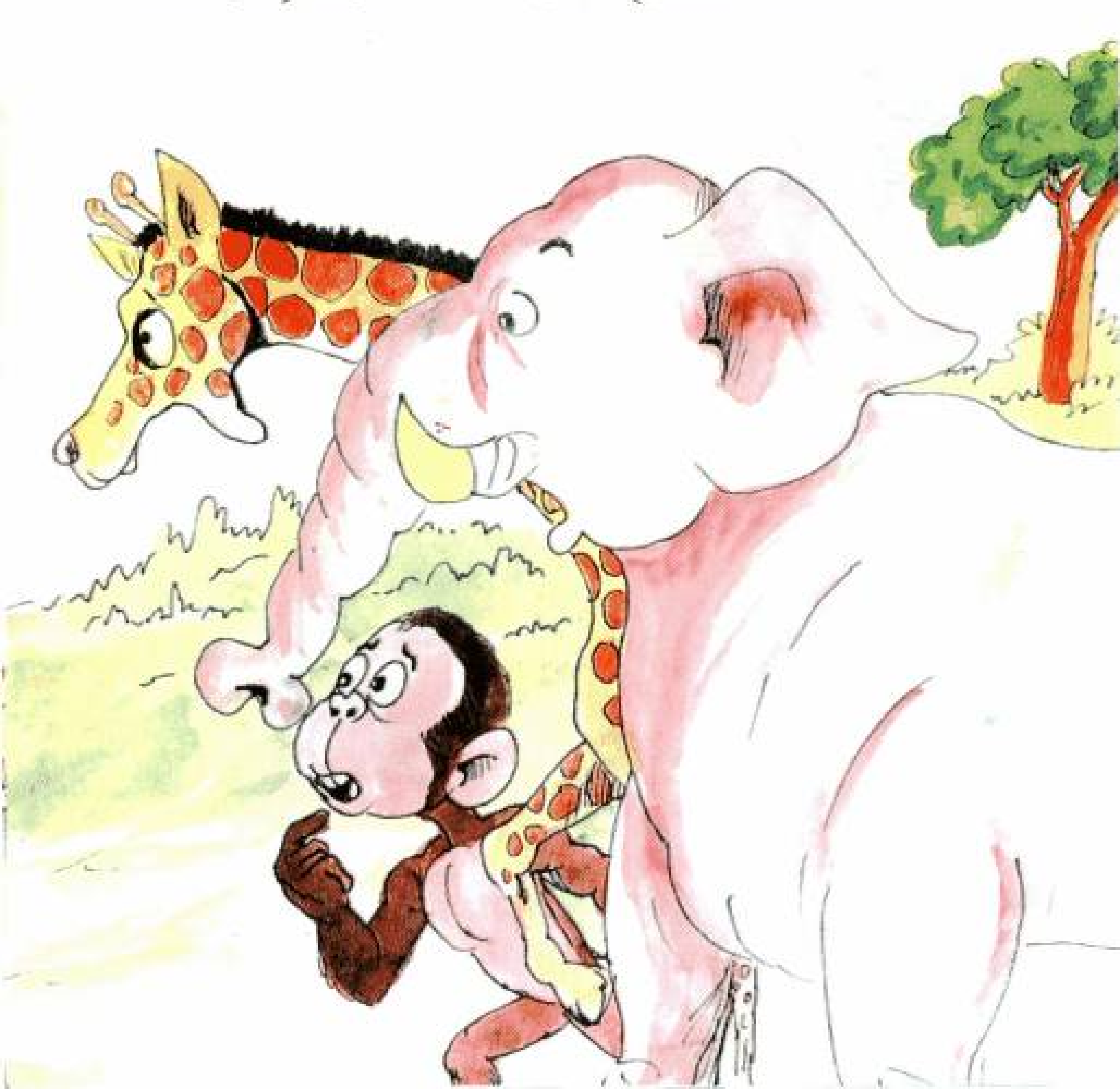


الحمار فى جلد الأسد

لفَّ حمارٌ نفسَهُ فى جلدِ أسدٍ ، وأوْهَمَ الجميعَ أنَّه أسدٌ . واستمتعَ الحمارُ بإثارةِ الرُّعبِ بين الجميعِ ، حتَّى فَزِعوا منه وهربوا من أمامِهِ .

وامتلأ الحمارُ غرورًا ، فتمادَى فى القيامِ بدَوْرِ الأسدِ .

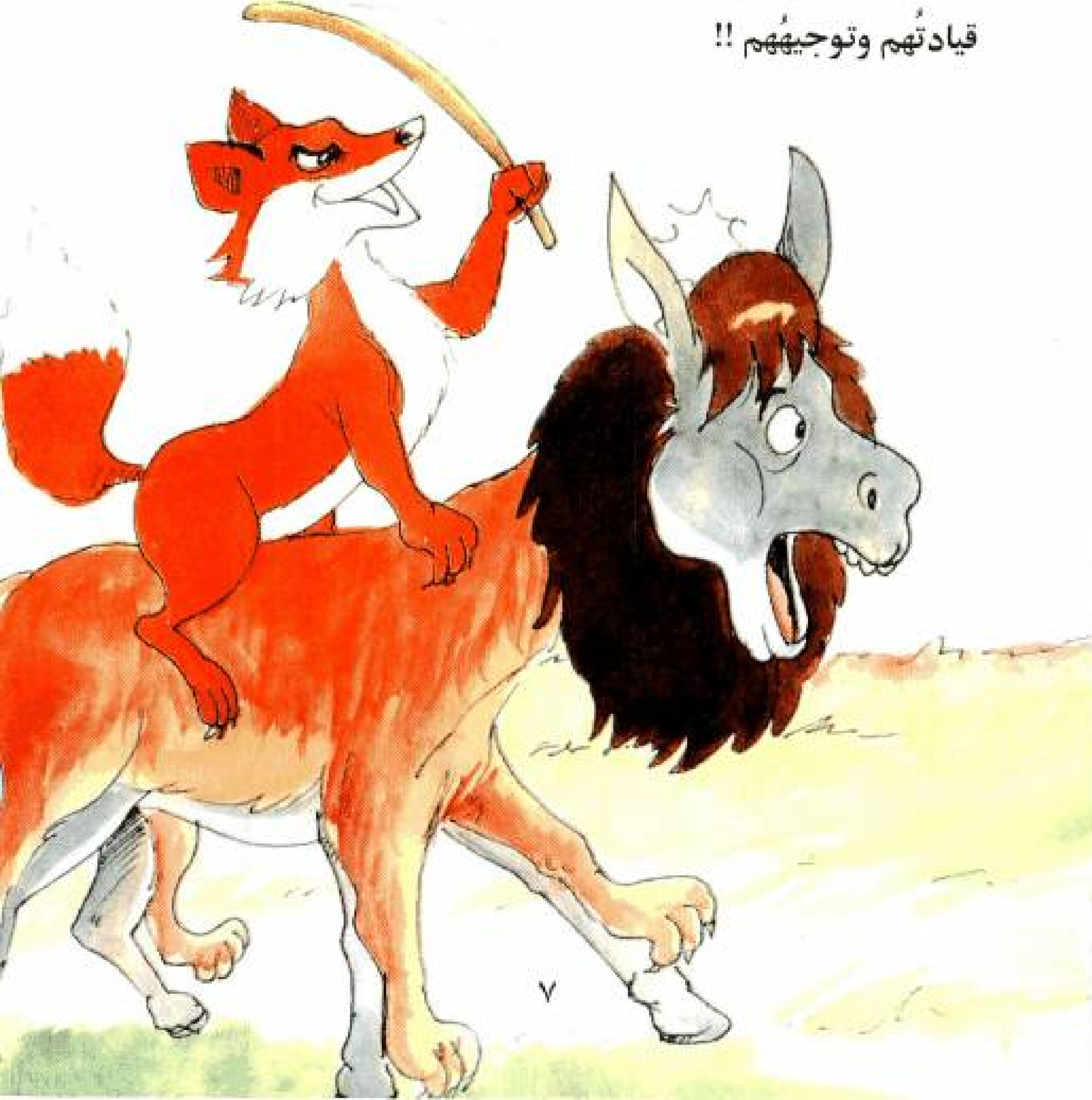
لكنْ حدثَ ذاتَ يومٍ أن برزَتْ أذناهُ الطَّويلتانِ من خلفِ



رِدائِهِ المُزَيَّفِ ، وقبلَ أن يُسْرِعَ بإخفائهما ، شاهدَهما الثَّعلبُ ، فعرفَ خدعةَ الحمارِ .

ولم يلبَثِ الجميعُ أن شاهدوا الثَّعلبَ يتعقَّبُ مَنْ ظنُّوهُ الأسدَ ملكَ الغابةِ ، ويقودُهُ وهو مُسلَّحٌ بعصا فقط !

عندَئذٍ تبيَّنوا الحقيقةَ ، وعرفوا أنَّ بعضَ مَنْ يدُلُّ مظهرُهم على البطشِ والقوَّةِ ، قد يكونون في حقيقتِهم مُسالمِينَ ، تسهلُ قيادتُهم وتوجيهُهم !!



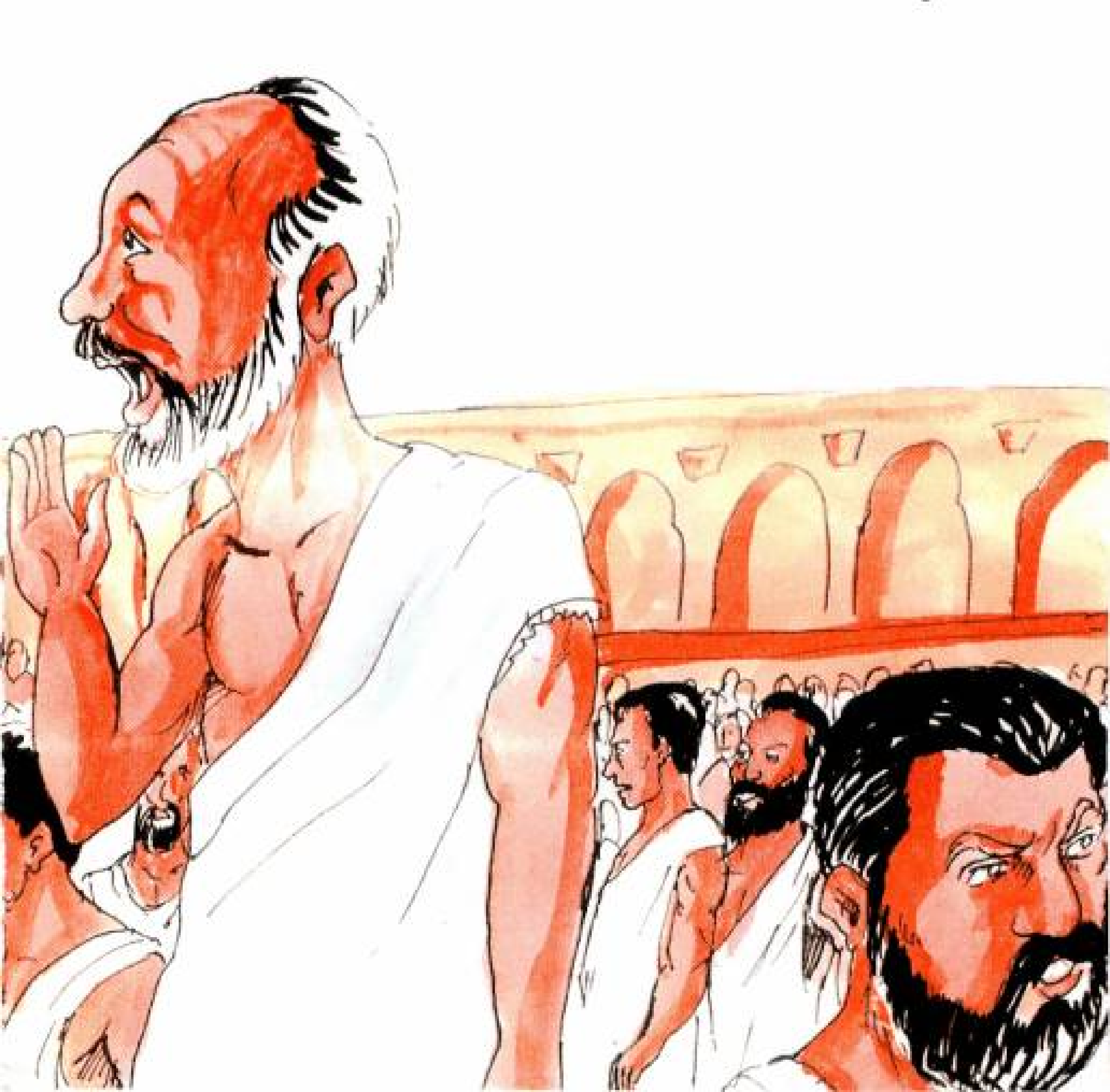
الفتى الذى غلبه

قالَ رجلٌ عالِمٌ مُتعبِّدٌ زاهدٌ :

لم يغلبْنى إلا فتًى ، قابلْتُـهُ فى أحدِ مواسمِ الحجِّ ، وسألَنى :

"إلى أىِّ مدًى وصلَ الزهدُ عندكم ؟"

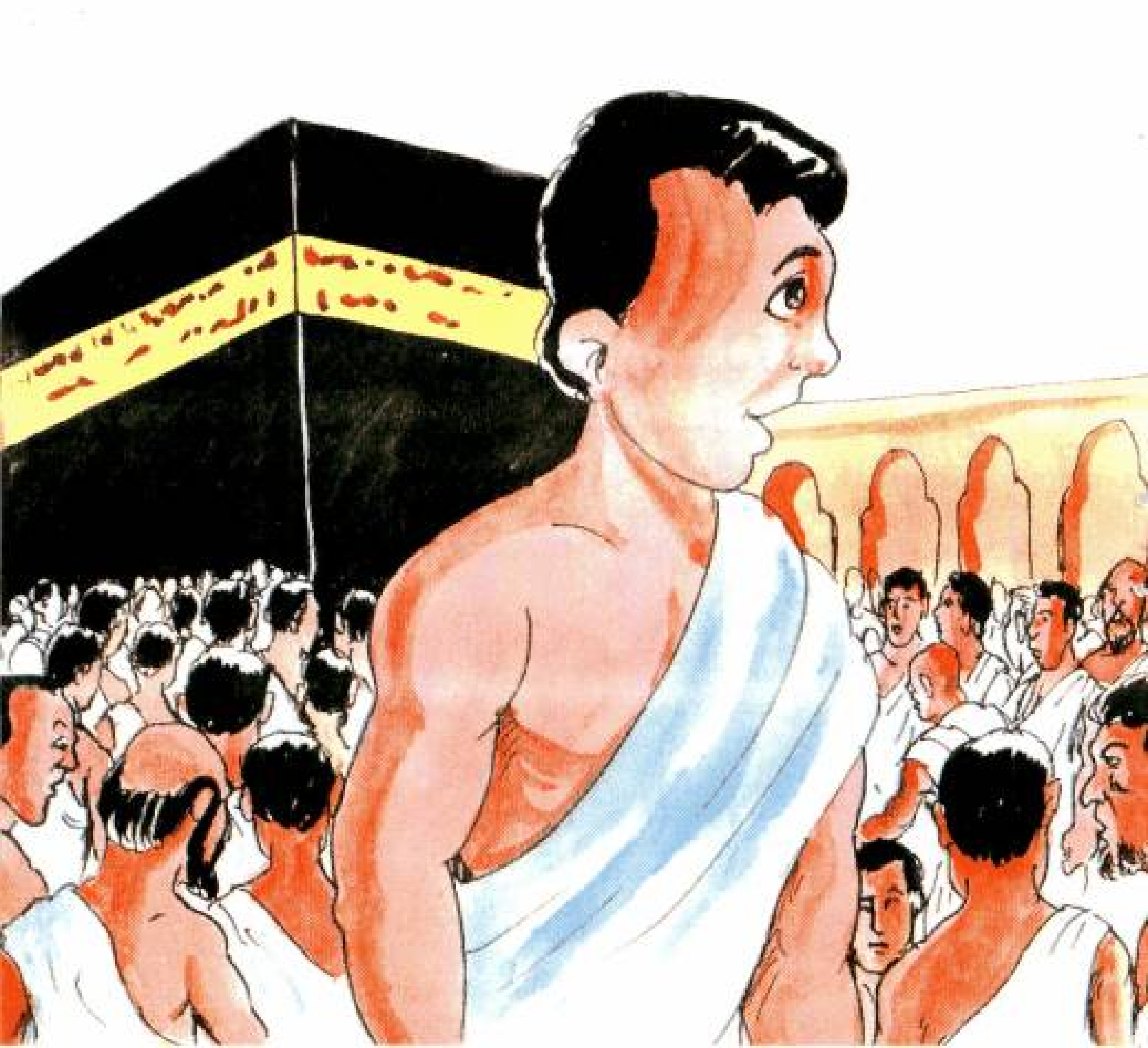
قلْتُ : "نحن إذا حرمَنا اللهُ من شىءٍ صبَرْنا ، وإذا أعطانا ، شكَرْنا ."



ثم سألتُهُ : "وإلى أىِّ مدًى وصلَ الزهدُ عندكم ؟"

قالَ : "نحن ، إذا حرمَنا اللهُ من شىءٍ شكَرْنا ، وإذا أعطانا ، فضَّلْنا غيْرَنا على أنفسِنا ، فتصدَّقْنا بما أعطانا اللهُ ."

وختمَ الرجلُ الزاهدُ حديثَهُ قائلاً : "وهكذا فإنه ما غلبَنى فى حياتى إلا هذا الفتى !!"

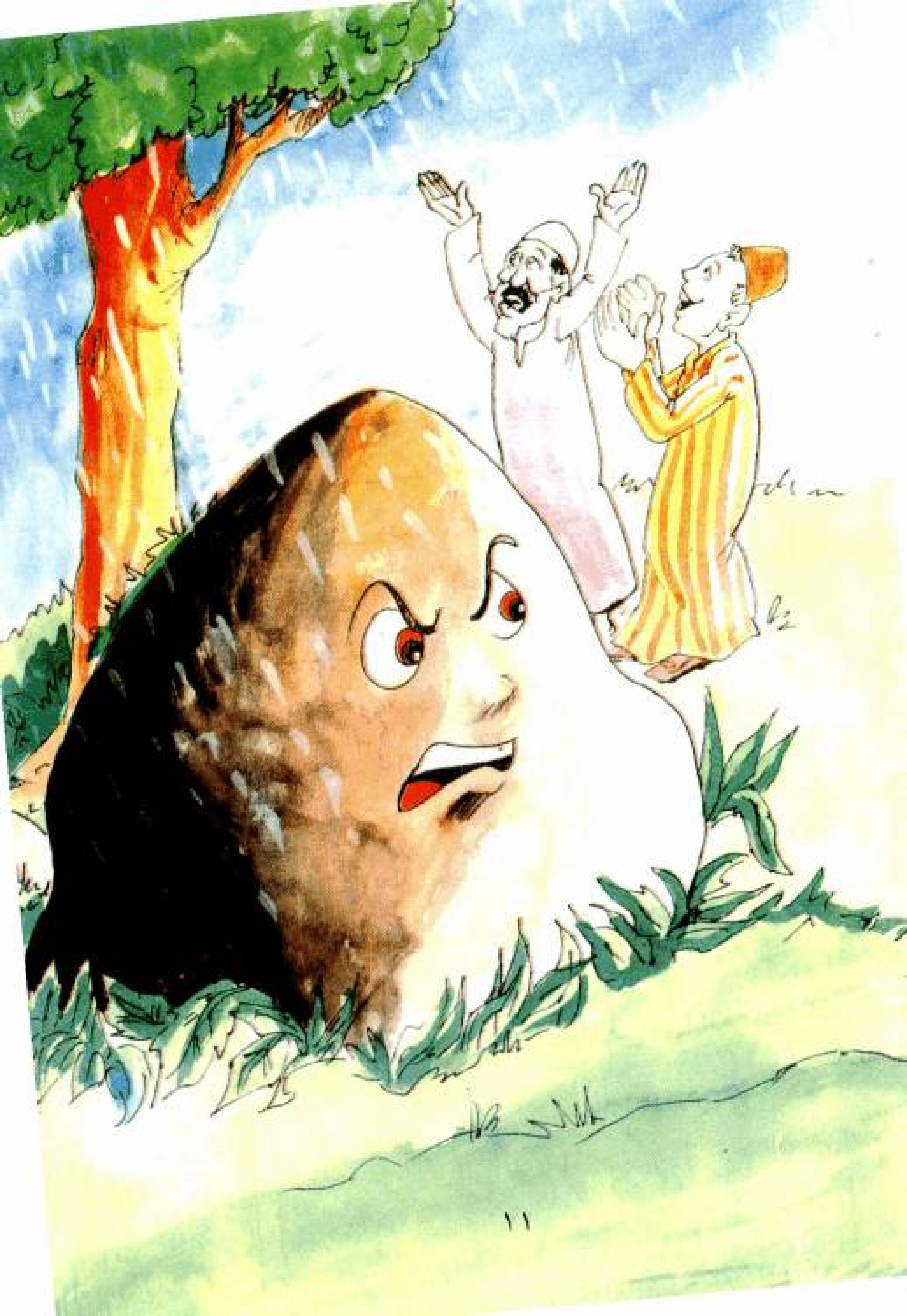


الصَّخرة السَّاخطة

بعدَ جفافٍ طويلٍ ، أمطرَتِ السَّماءُ ، فقالَتْ صخرةٌ كبيرةٌ : "ما أحمقَ النَّاسَ ! إنَّهم يردِّدونَ عباراتِ الشُّكرِ للمطرِ ، ويذكرون فضلَهُ ويمتدحونَهُ ، مع أنَّه لم يسقطْ إلا مدَّةً قصيرةً . إنَّهم يتحدَّثون عنه كأنَّه أعظمُ ضَيْفٍ جاءَ إلى الأرضِ . لقد مضَى على وجودى هنا آلافُ السِّنينَ ، ومع ذلك لم أسمعْ مِنْ أحدِهم كلمةَ مديحٍ أو عبارةَ شكرٍ ، فما أشدَّ ظلمَهم !"

كانَتْ دودةُ حريرٍ تنسجُ خيوطَها الحريريَّةَ ، فسمعَتْ حديثَ الصَّخرةِ ، فأجابَتْها على الفَوْرِ : "كفى شكوى وتذمُّرًا أيَّتها الصَّخرةُ . صحيحٌ أنَّ المطرَ لم يسقطْ إلا بضعَ ساعاتٍ ، لكنَّه مع ذلك رَوَى جميعَ الحقولِ ، بعد أن كادَ الزَّرعُ يموتُ من العطشِ ، فأصبحَ من واجبِ النَّاسِ أن يشكروهُ . أمَّا أنتِ ، فمعَ طولِ وجودِكِ بينهم ، لم تفعلى شيئًا ينفعُهم ، فعلى أىِّ شىءٍ يشكرونَكِ ؟"





الكرسى المريح

كانَتْ سهام الصغيرةُ تحبُ كثيرًا أن تجلسَ على الكرسِيِّ الكبيرِ المُريحِ ، وأن تستريحَ على مسندِهِ الليِّنِ . كانَتْ سهام تحرصُ أن تجلسَ على الكرسِيِّ ، خاصةً عندما تنهمكُ فى قراءةِ كتابٍ ، أو مشاهدةِ التليفزيون . وكانَتْ حريصةً أن تجعلَهُ نظيفًا على الدوامِ .

وذاتَ يَوْمٍ ، جاءَ تامر ابنُ عمِّ سهام ، فى زيارةٍ . كانَ صبيًّا عدوانِيًّا ، تسليتُهُ أن يجذبَ سهام من فوقِ الكرسِيِّ ، وأن يقلبَ الكرسِيَّ رأسًا على عقبٍ ، فكانَتْ سهام ، عندما تراهُ واقفًا فوقَ الكرسِيِّ وقد انهمكَ فى القفزِ إلى أعلى وإلى أسفلَ ، تصيحُ قائلةً : "توَقَّفْ .. إنكَ تُفسِدُ الكرسِيَّ !!"

لكنَّ "تامر" كانَ يضحكُ ويقولُ : "وماذا يُهِمُّ إذا فسدَ ؟!"

ثم يقفزُ إلى أعلى وإلى أسفلَ بقوةٍ أكثرَ ، لا لشيءٍ إلا ليغيظَ سهام !!

وفجأةً انحلَّتْ أربطةُ اليايات التى تجعلُ المقعدَ لينًا ، وقفزَ كلُّ ياى إلى أعلى بقوةٍ ، فانقذفَ معها تامر الشقِيُّ فى فضاءِ الغرفةِ ، وكأنه قطعةُ حجرٍ قذفَها صبِيٌّ من "نبلة" !!

صاحَ تامر فى فزعٍ : "لقد دبَّتِ الحياةُ فى هذا الكرسِيِّ !! إنه يُعاقِبُنى !!"

قالَتْ سهام : "هذا الكرسِيُّ صديقي ، وهو يدافعُ عني ويُعاقِبُكَ !! من الخَيْرِ لكَ أن تبتعدَ عنه تمامًا ."

وعندَما تمَّ إصلاحُ الكرسِيِّ ، عادَتْ سهام تجلسُ فوقَهُ لتقرأ .

ومع أن "تامر" لم يصدِّقِ احتمالَ وجودِ شبحٍ في الكرسِيِّ ، فإنه لم يقتربْ ثانيةً منه ، ولا من سهام عندما تكونُ جالسةً عليه !!



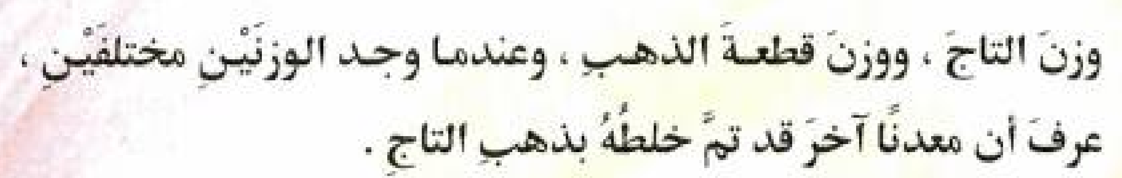
وجدْتُها .. وجدْتُها ..

فى متحفِ المتروبوليتان للفنونِ بمدينةِ نيويورك ، وفى قسمِ الآثارِ اليونانيةِ القديمةِ ، وقفْتُ أتأمَّلُ حوضَ استحمامٍ عميقًا ، منحوتًا فى قطعةٍ واحدةٍ من الرخامِ الأبيضِ . عندئذٍ تذكَّرْتُ العالِمَ اليونانِيَّ "أرشميدس" . فمنذُ ٢٢٠٠ سنةٍ ، عاشَ هذا العالِمُ الشهيرُ فى مدينةِ "سيراكوز" بجزيرةِ صقلية .

وذاتَ يَوْمٍ ، طلبَ منه ملكُ المدينةِ أن يُساعِدَهُ فى حلِّ مشكلةٍ واجهَتْهُ . فالملكُ كانَ قد اشترى تاجًا من الذهبِ ، لكنَّ الشكَّ ساورَهُ فى أن الصائغَ قد خدعَهُ ، بأن أضافَ معادنَ أخرى إلى الذهبِ . وطلبَ الملكُ من أرشميدس أن يعرفَ الحقيقةَ ، مع الاحتفاظِ بالتاجِ سليمًا .

وظلَّ أرشميدس يفكِّرُ فى هذه المشكلةِ أيامًا . وذاتَ مساءٍ ، دخلَ حمَّامَهُ ، ونزلَ فى حوضِ الاستحمامِ (البانيو) المملوءِ حتى حافتِهِ بالماءِ ، وراقبَ الماءَ وهو يفيضُ على جوانبِ الحوضِ . ولاحظَ أن كميةَ الماءِ التى انزاحَتْ من الحوضِ ، لابدَّ أن تكونَ مُساويةً لحجمِ جسمِهِ هو . وهكذا وجدَ أرشميدس حلاًّ لمشكلتِهِ .

لقد وضعَ تاجَ الملكِ فى إناءٍ مُمتلئٍ بالماءِ ، وقاسَ مِقْدارَ الماءِ المُزاحِ ، فعرفَ حجمَ التاجِ . ثم أحضرَ قطعةً من الذهبِ الخالصِ ، وتأكَّدَ من حجمِ الماءِ المُزاحِ أن لها نفسَ حجمِ التاجِ . ثم



وزنَ التاجَ ، ووزنَ قطعةَ الذهبِ ، وعندما وجد الوزنَيْنِ مختلفَيْنِ ، عرفَ أن معدنًا آخرَ قد تمَّ خلطُهُ بذهبِ التاجِ .

وتقولُ الحكايةُ إن أرشميدس اشتدَّ انفعالُهُ ، فخرجَ من حوضِ الاستحمامِ عاريًا ، وانطلقَ يجرى فى الشوارعِ وهو يصيحُ : "وجدْتُها.. وجدْتُها .."

تفاؤلُ معَ ١٠٠ سنةٍ من العمر

كانَ "العمُّ سلطان" يحتفلُ بعيدِ ميلادِهِ المائةِ ، في دارٍ لرعايةِ المُسنِّينَ . ولما كانَ بلوغُ سنِّ المائةِ من الأحداثِ النادرةِ المُهمَّةِ في زمانِنا ، فقد ذهبَ أحدُ مذيعي التليفزيون لإجراءِ مقابلةٍ مع الشيخِ كبيرِ السنِّ .

سألَ المُذيعُ الرجلَ : "هل تستطيعُ الآنَ أن تخرجَ وتمشِيَ كثيرًا يا عمَّ سلطان ؟!"

أجابَ الشيخُ المَرِحُ : "من المُؤكَّدِ أنني أستطيعُ أن أمشِيَ اليَوْمَ ، أفضلَ مما كُنْتُ أمشي منذُ مائةِ سنةٍ مضَتْ !!"



بعض قصص هذه المجموعة تم اختيارها وإعادة صياغتها من الأدب الشعبي والعربي القديم والعالمي